جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

سنة أولى ماستر تاريخ الوطن العربي المعاصر

مقياس الاستشراق وتاريخ الوطن العربي المعاصر

محاضرة أراء المستشرقين في بعض قضايا التاريخ العربي المعاصر

من مراجع المحاضرة:

1- دباب، بومدين. (2023). المدرسة الاستشراقية الفرنسية وآرائها حول التصوف في الجزائر إبان الفترة الاستعمارية – شارل بروسلار نموذجا-. مجلة عصور الجديدة. (مج13). (ع 02).
2- بوقوفالة، خولة . الغالي، غربي. (2023). قضايا التاريخ العثماني والعربي من وجهة نظر مدرسة الاستشراق الامريكي. مجلة دراسات وأبحاث. (مج 15). (ع 01).
3- بودربالة، مسعود. (2016). الاستشراق الفرنسي وتوظيفه الاثنوغرافي في إحتلال الجزائر. مجلة الفكر المتوسطي. (ع 11).

عناصر المحاضرة:

1- بعض قضايا التاريخ العثماني والعربي من منظور المدرسة الامريكية

2- تاريخ الجزائر المعاصر من خلال كتابات المستشرقين

من فروع بحوث المستشرقين تاريخ العالم الاسلامي سواء في الفترة الوسيطة أو الحديثة أو المعاصرة، ركزوا كثيرا على الخلافة الاسلامية وعلى الدولة العثمانية والتي إستطاعت أن تجمع تحت حكمها إثنيات مختلفة العرق واللغة والتاريخ وكذا الاقاليم السياسية، وسلطوا الضوء على نهاية هذه الدولة وما خلفته من أنظمة سياسية جديدة، ومن مجالات بحوثهم أيضا تاريخ الجزائر في الفترة المعاصرة.

1-بعض قضايا التاريخ العثماني والعربي من منظور المدرسة الامريكية:

درس المستشرقون وبحثوا حول التاريخ العربي والعثماني في كل الجوانب وكتبوا بخصوصهما حسب دوافع كل كاتب وتوجهه، ما يلاحظ على هذه الكتابات إختلافها عن بعضها من ناحية المنهج أو الفحوى، كما أنها غطت الجانب السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي والديني.

في الجانب السياسي بحث المستشرقون في الواقع السياسي للعالم الاسلامي بما فيه فترة الحكم العثماني، وسعى أكثرهم إلى الترويج لسياسة أمريكا في المنطقة، ونشير هنا إلى جهود المستشرق الانجليزي برنارد لويس والذي تحصل سنة 1982 م على الجنسية الامريكية، وعين مستشارا سياسيا، ساهم بكتاباته في إثراء الكتابات التاريخية حول الحكم العثماني، من مؤلفاته نذكر كتاب ظهور تركيا الحديثة تطرق فيه إلى فترة نهاية الدولة العثمانية والاصلاحات والتنظيمات التي أنشئت إلى غاية قيام الجمهورية التركية .

بالاضافة إلى المستشرق إتزكوويتز أستاذ التاريخ العثماني بجامعة برنستون من جهة أبدى إعجابه بإنجاز مصطفى كمال في تحديث تركيا وتغريبها ومن جهة أخرى صرح بعيوب هذه الشخصية مما أغضب منه السلطات في أمريكا .

برز أيضا المستشرق ريتشارد ميتشيل إطار المخابرات الامريكية بَحَثَ في التاريخ العربي وألف كتابا موسوم بـ الاخوان المسلمين والتيار السلفي عند رشيد رضا، مشيرا فيه إلى أن الإهتمام الأمريكي بالاستشراق ما هو إلى جزء من تطبيق سياسة الدولة، ولأنه إطار مخابراتي قدم مجموعة توصيات للدول الموالية لأمريكا فحواها طرق التعامل مع الصحوة الاسلامية والقضاء عليها.

كتب في التاريخ العثماني والعربي أيضا المستشرق والرحالة والصحفي لويل توماس، ألف قرابة الخمسون كتابا نذكر منها مع لورانس في جزيرة العرب وكتابا آخر عنوانه لورانس لغز جزيرة العرب، تحدث فيه عن هذه الشخصية البريطانية ورحلاتها في أرجاء الدولة العثمانية والسياسة التي إنتهجتها مع العرب .

كما كان لنشاط السفراء والتجار والجنود دور في تكوين صورة حول العالم الاسلامي على الاقل بالنسبة للغرب من خلال أنشطتهم في المنطقة فنجد مثلا أن السفير الامريكي بارون جون تمكن خلال نشاطه الدبلوماسي في مصر أثناء إقامته بها من تأليف كتاباعنوانه ظهور مصر الحديثة، وأعدّ موظف أخر بالسفارة رسالة ماجستار موسومة بـ إمبراطورية المماليك في القرن الرابع عشر، كما أصدر كتاب آخر عنوانه الامبراطورية الوهابية الاولى بالاضافة إلى مجموعة خرائط شبه الجزيرة العربية ونشر عدة مقالات.

كان البحث في الواقع الإجتماعي للوطن العربي والخلافة العثمانية من مجالات بحث المستشرقون الامريكان خاصة أولئك الذين تمكنوا من الارتحال للمنطقة ومعاينة الوضع ميدانيا ومثال على ذلك المستشرق ألبرت ليبير حيث كتب عن التجارة في الفترة العثمانية ضمن كتابه الموسوم بـ الأتراك العثمانيون وطرق التجارة، كما ألف كتابا أخر عنوانه حكومة الامبراطورية العثمانية في زمن سليمان القانوني .

أدى إنفراط عقد الدولة العثمانية وقيام كيانات سياسية جديدة لأمة كانت واحدة مع تعدد اللغات والعرق والمذاهب وكذا الحدود الجغرافية إلى إنتاج العديد من الكتب والمقالات والمحاضرات لكن الكثير منها يفتقر إلى الاطلاع عن حقيقة الامر،

بالاضافة إلى أن الكثير منها يوحي بالتعصب والمصالح والاهواء وغيرها من المؤثرات .

من الامريكان المهتمين بالكتابة عن الدولة العثمانية نذكر ديفيد فرومكين مختص في السياسة والتاريخ الحديث كاتب وقانوني ومؤرخ خريج جامعة شيكاغو، أستاذ التاريخ والعلاقات الدولية والقانون بجامعة بوسطن، محرر إفتتاحية مجلة الشرق الاوسط، كتب مؤلفه المشهور نهاية الدولة العثمانية تميز فيه بالتحليل وتمكن من إعادة تصوير السياسة الاوروبية في تركة الرجل المريض كما يفضلون تسميتها أو ما أصبح يعرف بالشرق الاوسط بين 1914 و 1922 م، وكيف تمكنت دوائر السياسة الخارجية للحلفاء وخاصة البريطانية من تكوين هذا الشرق وصياغة الانظمة التي تهيمن حاليا .

كتاب نهاية الدولة العثمانية كتاب عنا ولنا يتعلق بأخطر مرحلة من مراحل تاريخنا، نقرأه لنعرف ماذا فعلوا بنا، لعلنا نستطيع معرفة ماذا سيصنعون بنا؟، كيف كان العرب عندما نظرت لهم الدول الكبرى على أساس أنهم غنيمة حرب؟ فعملت على تجزئتهم، ومزقت أواصر ألاف السنين، هل كان العرب واعين لما كان يحصل؟ ماذا فعلوا؟ وماذا كان بإمكانهم أن يفعلوا؟ هل يمكنهم صياغة مستقبل أفضل؟...

إمتاز عمل فرومكين بأنه قدم المعلومات بمنهج علمي واقعي بعيدا عن المصالح والاهواء والمؤثرات حيث الوقائع تنطق لوحدها، وهذه الحقائق مجردة توضح كيف صُنِع التاريخ من جديد، كما إمتاز بالنظرة الشمولية لتكوين الشرق الاوسط، وهذا ما جعله عملا رياديا غير مسبوق، فهو عمل يجمع بين دفتيه الاجابة عن أسئلة منها كيف شكلت بريطانيا وحلفائها الكيانات الجغرافية والسياسية للشرق الاوسط؟، ولماذا تلك الكيانات بالتحديد؟، ما هي مرتكزات السياسة المستقبلية في الشرق الاوسط؟، ماذا كانت ترجو من ذلك؟، ما هي الحسابات السياسية والاقتصادية التي وضعتها في الحسبان؟ ما مدى التناغم في الادارة البريطانية وهي تتخذ قرارات مصيرية

لملايين من الناس ولمستقبل علاقاتهم؟، هل كانو واعين لما كانو يفعلون؟،من أولئك الرجال الذين وضعوا أخطر القرارات في العالم؟

2- .تاريخ الجزائر المعاصر من خلال كتابات المستشرقين:

شكلت أعمال المستشرقين الفرنسيين ديفونتين وبيسونيل وفانتوردي بارادي النواة الاولى للاستشراق الفرنسي الذي مهد للحملة الفرنسية على الجزائر وشكلت أيضا أعمال المستشرقين الاوروبيين والامريكيين مرجعا لهذه الطلائع الاولى، دوّن هؤلاء مظاهر الحياة وخصائص أفراد المجتمع الجزائري أنماط تفكيرهم وعاداتهم ونظم علاقاتهم كمؤلَف الرحالة الانجليزي توماس شو الموسوم بـ رحلة إلى ولاية الجزائر وكتابات الايطالي فيليبو بنانتي، كما وصف بيير دان ولاية الجزائر ومدنها وسواحلها ومدارسها، وموانئها، تضاريسها، غطائها النباتي، مناخها وكذا منتجاتها الزراعية...

كتاب صحراء قسنطينة لشارل فيرو، نُشر بالمجلة الافريقية مرتبا ضمن مجموعة أعداد فمثلا فيما يخص منطقة سوف ذكر فيه نوايا فرنسا في إحتلالها منذ الايام الاولى من سقوط مدينة قسنطينة في أكتوبر 1837 م، وبعد إحتلال مدينة بسكرة سنة 1844 م لجأ قائد الجهاد بالمنطقة محمد الصغير بن أحمد بلحاج إلى وادي سوف لذلك قرر الجيش الفرنسي التوسع العسكري في واد سوف.

أرسلت الحكومة الفرنسية سنة 1848 م بعثات إستكشافية لوادي سوف أهمها قام بها الضابط براكس (Prax) وبعد التواجد الميداني بها وببسكرة ووادي ريغ أصدر دراسة هامة عنونها بـ تقرت ووادي سوف، ثم دراسة أخرى موضوعها التجارة الصحراوية سماها تجارة الجزائر مع مكة والسودان أصدرها بباريس سنة 1849 م، كما قام الباحث أندريان بروبروجار بزيارة أخرى سنة 1950 م للتعرف على الواحات بالصحراء ريغ، ورقلة، وادي ميزاب، المنيعة، توات، وانتقل أيضا إلى واحات الجريد بالجنوب الغربي التونسي، رصد خلال رحلته هذه الكثير من المعلومات الجغرافية والاثرية والبشرية، فأنجز دراسة عنوانها النتائج المتحصل عليها من الاستكشافات المنجزة للتوغل في السودان، نشرت بالنشرة الخاصة

للجمعية الجغرافية بباريس سنة 1862 م، قدمت هذه الدراسة للمصالح الاستعمارية معلومات هامة عن وادي سوف سهلت لها لاحقا التوغل في المنطقة .

إهتم بعض المستشرقين الالمان بترجمة بعض المؤلفات مثل رحلة في ولاية الجزائر للرحالة الانجليزي توماس شو سنة 1765 م، وكتاب رحلة إلى سواحل البرابرة للشاعر الايطالي فيلبيو بنانتي عام 1824 م، وكتاب رونودو سنة 1830 م، إشتركت هذه المؤلفات في وصف أحوال الاسرى المسيحيين وإتخاذ أوروبا هذا الأمر ذريعة للإعتداء المتكرر على شواطئ أيالات الدولة العثمانية في شمال إفريقيا.

كتاب رحلة فيلهيلم شيمبر إلى الجزائر سنتي 1831-1832 م، طُبع في شتوتغارت سنة 1834 م، قام فيلهيلم برحلته هذه في إطار مهمة لجمع النباتات يتكليف من الجمعية النباتية، ذكر في كتابه أن عدد سكان مدينة الجزائر حوالي 100 ألف نسمة، وحسب رأيه أن عنصر الحضر أهم عنصر، وأن بناياتها تقارب الخمسة عشر الف، وأن اللغات العربية، الاسبانية، الفرنسية، الايطالية، الالمانية، الانجليزية والهولندية لغات مستعملة في الجزائر، كما ذكر السلوكات الطيبة للتجار الجزائريين عكس التجار الاوروبيين الذين من صفاتهم الشجع والارتزاق.

مدح شيمبر الاسرة الجزائرية ورأى أن المرأة الجزائرية تبدو مقيدة، وأن من مرافق التعليم المدراس ومن مقاييس الدراسة حفظ القرآن والحساب، ثم مواصلة الدراسة لدى الفقهاء والعلماء، كما كانوا يهاجرون إلى مصر أو تونس للدراسة أو لتعلم الحِرَفْ أو لدراسة الطب في أوروبا، وذكر أن الجزائريين متعلمين ومثقفين ومتدينين عكس سكان جنوب أوروبا الذي نادرا ما تجد فيه من يعرف القراءة والكتابة، كما تحدث شيمبر عن تدمير السلطات الفرنسية لمساجد الجزائريين وتحويلها إلى مرافق عسكرية .

في هذا السياق نذكر كتب المستشرقون الرحالة مثل دان ديغودي هايدوا (Diego De Haedo)و فانتوري دي برادي (V De Paradis) حيث نشرها الفرنسيون سنة 1830 م، وهناك من المؤلفات التي عاد فيها أصحابها إلى كتب

الرحالة والمؤرخين العرب كإبن خلدون حيث حققوا الجزء الخاص ببلاد البربر من ديوان العبر ونشروه، فضلا عن ترجمة كتابات البكري، ونشروا مراسلات دايات الجزائر مع فرنسا .

كما نشر المستشرق الالماني أيضا فرديناند فينكلمان سنة 1832 م مؤلفه تاريخ إحتلال الجزائر من طرف الفرنسيين 1830 م تكلم فيه عن الجزائر قبل الاحتلال وكذا أثناء سقوطها تحت الهيمنة الفرنسية، إعتمد في كتابه على ما كتبه بفايفر، أعجب المؤلف بالجزائر ووصفها بالبلد الساحر ودعا مواطنوا ألمانيا لزيارتها وأنها بالإمكان أن تصبح مشروع مستعمرة ألمانية، ودعم هذا الطرح المستشرق ماكس ماريا فون فيبر حيث نشر سنة 1854 م كتابا يوضح فيه مسالك الهجرة إلى الجزائر وركز فينكلمان على البحث في مدى خصوبة أراضي الجزائر وتنوع إنتاجها وأن هناك أراضي زراعية مهملة مثل مناطق قسنطينة .

نجد أن الكثير من المستشرقين قد بحثوا حول التصوف في العالم الاسلامي لعلى أشهرهم لويس ماسنيون الذي أمضى شوطا كبيرا في البحث والتنقيب عن تصوف الحسين إبن المنصور المدعو بالحلاج حتى أنه سمى ما كان يعتقده ويقوم به الحلاج بـ الفقه الحلاجي ولعلى إحدى الوسائل الايضاحية الموجودة في ثنايا الدراسة تشير إلى ـتأثر ماسينيون بنهاية الحلاج .

نذكر أيضا كتاب المرابطون والإخوان دراسة حول الاسلام في الجزائر (Marabouts et khouan études sur L Islame en Algérie)من خلال هذه الدراسة أراد المؤلف إثبات أهمية وتأثير الطرق الصوفية والزوايا على الجزائريين، كما أنه أراد ان يقدم دعما للسلطة الاستعمارية بتزويدها بأكبر رصيد من المعلومات حول هذه الاطراف، رغم أن هذه الدراسة تحمل في مضونها الكثير من المغالطات والاحكام المسبقة وكذا النظرة الحاقدة على الاسلام إلا أنها تعتبر مصدر مهم لدراسة تاريخ الجزائر.

كما نشر إدموند دوتيه سنة 1900 م دراسة عنوانها الاسلام في الجزائر سنة 1900(L’Islam Algérien en l’an 1900) ، تطرق فيها إلى الاسلام كعقيدة،

مصادر الدين، تطور الفقه والقانون، الترميز، والطقوس والمدارس، فكر المرابطين والأشراف، التصوف والجمعيات الصوفية في الجزائر، الأخوية الدينية في الجزائر، المقامات والمباني الدينية ، المرابطون، المساجد، الزوايا، الاحتفالات، المهرجانات والخرافات.

في هذه الدراسة لقب دوتيه الجزائريين برعايا فرنسا وذكر أنهم شعب بطيئ الذكاء، كما أن الاسلام يتطور لديهم ببطئ، وإعتبر أن المرابطون في الجزائر عناصر أساسية في الاسلام المغربي (شمال إفريفيا) منذ القرن السادس عشر، خاصة لإعتمادهم على الوعظ والارشاد، غير أن تأثيرهم يبقى محليا وأنهم لا يشكلون أي تهديد للوجود الفرنسي بالجزائر، وأضاف أن هؤلاء المرابطون يعملون على تحييد بعضهم البعض وأن مذاهبهم الباطنية لا يمكن أن تظهر في الجزائر على غرار تأثيرات الصوفية في المشرق.

كما وصف دوتييه علاقتهم الاخوية بالهشة، وأنهم يقفون موقف المحايد بين فرنسا وخصومها وقد سمى هذا الحياد بالحياد الخيري، ونادرا قد يُكسر هذا الحياد من طرف البعض ، كما ذكر تفشي الجهل في أوساط القبائل الجزائرية فيما يخص قضايا الدين، وذكر إمكانية زوال وإختفاء الخرافات القديمة لكن تدريجيا حيث يحل الاسلام النقي في كل الاوساط، ونصح الجزائريين بشكل ساخر قائلا: " على الجزائري قضاء نصف يومه للتفقه في العلوم الاسلامية أفضل من أن يعمى بضوء العلوم الاوروبية المبهرة ".